

الوافي في الوفيات

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنّ لها لا تذكره ؛ ثمّ - تسمّع عليها يوماً فوجدها وهي تدرس آخر سورة البقرة حتّى بلغت قوله تعالى " فإن لم يصبها وابلٌ فطالٌ " فلم تلفظ به وقالت : فإن لم يصبها وابلٌ فما نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل الرشيد وقبّل رأسها وقال لها : لقد وهبت لك طلاّ ولا منعتك بعد هذا عمّا تريد مني منه . ذكر ذلك الصولي . وكانت عُلَيّية من أعفّ الناس ؛ كانت إذا طهرت لزمت المحراب وإذا لم تكن طاهرة غنّت . ولمّا خرج الرشيد إلى الرّبيّ أخذها معه فلمّا وصل إلى المرح بها نظمت قولها :

ومغربٍ بالمرج يبكي لشجوه ... وقد غاب عنه المسعدون على الحبّ .
إذا ما أتاه الرّكبُ من نحو أرضه ... تنشّق يستشفي برائحة الرّكب .
وصاغت في الحال لهما لحناءً وغنّت به . فلمّا سمع الصوت علم أنّها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به فأمر بردّها . وكان قد عوّدها الدخول إليها إذا دخل إلى حُرّمه . فأغفل ذلك يوماً فقالت :

أهلي سلوا ربّكم العافيه ... فقد دهنتي بعدكم داهيه .
ما لي أرى الأبصارَ بي خافيه ... لم تلتفت منّي إلى ناحيه .
ما ينظر الناس إلى المُبتلى ... وإنّما الناس مع العافيه .
ومن شعرها :

إنّني كثرتُ عليه في زيارته ... فملّ والشيءُ مملولٌ إذا كثرا .
ورابني منه أنّني لا أزال أرى ... في طرفه قصراً عندي إذا نظرا .
ومنه :

كتمتُ اسمَ الحبيب عن العباد ... وردّ دتُ الصبايةَ في فؤادي .
فواشوقي إلى نادٍ خَلِيٍّ ... لعلّني باسمِ مَنْ أهوى أنادي .
ومن قولها في رشأ الخادم تصحّفه :

أضحى الفؤاد بزينا ... صبّاً كئيباً متعباً .
فجعلتُ زينبَ سؤترةً ... وكتمتُ أمراً معجيباً .
ومنه :

سلطانٌ ما ذا الغضبُ ... تظلمني وتعتبُ .
ما لي ذنبٌ فإذا ... شئتَ فإنّني مذنبٌ .

ومنه : .

تعالوا ثمَّ نصطبِحُ ... ونلهو ثمَّ نقترحُ .

ونجمعُ في لذاتنا ... فإنَّ القومَ قد جمحوا .

ومنه : .

ليت شعري متى يكون التلاقي ... قد براني وسلَّ جسمي اشتياقي .

غاب عنِّي من لا أُسمِّيه خوفاً ... ففؤادي مُعلِّقٌ بالتَّسَّراقِ .

ومنه : .

خلوتُ بالراح أُناجيتها ... أخذتُ منها وأُعاطيها .

نادمتُها إذْ لم أجد صاحباً ... أَرْضاه أن يَشْرَكَني فيها .

قلتُ : قولها : نادمتُها أكمل من قول أبي نواس : .

على مثلها مثلي يكون منادمي ... وإن لم يكن مثلي خلوتُ بها وحدي .

ومن شعرها : .

سَلِّمِمْ على ذاك الغزا ... لِ الأغيدي الحلوى الدلالِ .

سَلِّمِمْ عليه وقولُ له : ... يا غُلِّمَّ ألبابِ الرجالِ .

خَلِّيتَ جسمي صاحياً ... وسكنتَ في ظلِّ الحجالِ .

وبلغتَ منِّي غايةً ... لم أدرِ فيها ما احتيالي .

ومنه وقد حجَّت مع رشاً : .

بين الإزارين من المَحْرَمِ ... تَوَلَّيهُ عقلِ الرجلِ المسلمِ .

مرَّ إلى الركنِ فزاحمتُهُ ... فاستلمَ الركنَ ولم يَلْثَمِ .

وفاتَ بالسبقِ إلى زمزمِ ... وكانتِ اللذاتُ في زمزمِ .

شربتُ في الظلماءِ من بعده ... فليستُ أنسى طعمه في فمي .

ومنه : .

قم يا نديمي إلى الشَّمولِ ... قد نمتَ في ليلك الطويلِ .

أما ترى النجمَ قد تبدَّي ... وهمَّ بِهَرَامِمْ بالأفولِ .

قد كنتَ عَضْبَ اللسانِ عهدي ... فَرُحْتَ ذا منطقِ كليلِ .

مَنْ عاقَرَ الرَّاحَ أحرستهُ ... ولم يُجِبْ منطقَ السَّوولِ .

ومنه : .

أتاني عنكَ سبُّك لي فَسُدِّي ... أليسَ جرةً بفيكِ اسمي فحسبي .

وقولي ما بدا لكِ أن تقولي ... فما ذا كلَّه إلاَّ لِحبي .

قُصاراكِ الرجوعُ إلى مرادي ... فما تهوَّين من تعذيبِ قلبي .

